

رسالة المرشد العام للإخوان المسلمين : حاجة الأمة إلى التحرر من كل سلطان أجنبي



الخميس 1 يناير 2004 12:01 م

28/01/2010

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد ...

لقد أصبح الإسلام اليوم هو المبدأ الثابت لشعوب أمتنا، الذي يدفعها في نهضتها، وهي في طريق التحرر من السلطان الأجنبي والاستبداد الداخلي، لاستعادة الحياة الكريمة في كل جوانب شئونها السياسية والاقتصادية والنقافية والاجتماعية، بتوجهها وولائها لله وحده، يقول تعالى: (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً مُبَارَكَةً وَنُخْرِتُّهُمْ أَخْرَجَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(النحل:97)

وقد أراد الإمام البنا إيقاظ الوعي لدى الأمة، بهذه الحياة الطيبة، وهو يدعوها إلى الاستقلال والتحرر، من كافة صور السيطرة وأشكال الهيمنة، بقوله: " اذكروا دائماً أن لكم هدفين أساسيين :

- أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي، وذلك حق طبيعي لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد .
- أن يقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي، وتعلن مبادئه القومية وتبلغ دعوته إلى الناس " .

لماذا الأمة في حاجة إلى التحرر ؟

إن المتأمل اليوم لحال أمتنا، يرى حاجتها الماسة للتحرر من كل سلطان أجنبي : سواء كان ممثلاً بالاحتلال العسكري في أفغانستان والعراق وفلسطين، أو باختفاء الاستقلالية في امتلاك القرار، ورفض الإماءات، ومواجهة الإغراءات، خاصة أن آثار هذه الهيمنة تترى كل يوم أمام أعيننا، بما يحدث من مذابح ومجازر، تقتل الأبرياء، وتدمر المدن، وتهدم الحياة الآمنة، فمادام بعد أن ظهر للعالم أجمع أن حكومات أمتنا لا تستطيع أن تتخذ قراراً لصالح شعبيها، أو لصالح بقائها، إلا بموافقة أمريكا وإسرائيل، ونحو الإسلام الذي فيه حربتهم جانباً : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)(النحل:107)، وما الذي غيب عنهم الحقيقة، وأعماهم عن الحق : (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)(الاسراء:72)، ويشهد على ذلك ما يحدث الآن في غزة من حرب الجدران للإمعان في حصار الأبرياء، مما جعل تنبأهو يتشرف من حدودنا المصرية، على بناء الجدار الثالث الشانك، بعد الجدارين الأسمنتي والفولاذي .

أو ما يحدث من صراعات داخلية في اليمن والسودان والصومال وباكستان واندونيسيا ونيجيريا، بإحداث الفتن وافتعال المواقف، بين المسلم والمسلم، أو بين المسلم والمسيحي، لإفساح الطريق أمام المخطط الصهيوني الأمريكي، في الهيمنة والسيطرة والتدخل في الشأن الداخلي، (ولا يَزَالُونَ يُقَابِلُونَكُمْ حَتَّى تَزُدَّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اِسْتَمَأْغَوْا) (البقرة: من الآية217)، وهاهي لجنة الكونجرس الأمريكي التي ترأسها يهودية باسم تقييم الحريات الدينية خارج أمريكا، والمرفوضة من الشعب المصري، تأتي لتدعي سلفاً وجود الطائفية والاضطهاد، في وقت ما شكى أحد في مصر منهما، بل رأينا الحقيقة المصرية، حينما حمل أئمة المساجد جثث أربعة مسيحيين ماتوا خنقاً لإنقاذ زميلهم المسلم، هذه هي مصر التي لا يعرفونها ! .

إنني لأتساءل ...

وإنني لأتساءل مع عقلاء الأمة من المفكرين والكتاب والأحرار :

- جثث نيجيريا في الآبار ومنشآت الصرف الصحي بعد المذبحة المروعة التي راح ضحيتها المئات من الطرفين ذبحاً وقتلاً وحرقاً، لمصلحة من ؟

- 130 قتيلاً أبادهم زلزال هايتي مقابل كل فلسطيني استشهد في حرب غزة، ومع ذلك الشعب المحاصر في غزة أبدي استعدادة للوقوف إلى هايتي، فأين المساعدات العربية والإسلامية الشعبية والرسمية ؟ .
- من الذين يُعانون من الاضطهاد ؟ من الذين يطبق عليهم قانون الطوارئ ؟ من الذين يجرى عليهم الاعتقال المتكرر ؟ دون اعتبار أو تنفيذ للأحكام القضائية ؟ من الذين يُمنعون من الخطابة والتدريس والإعلام والمراكز الرفيعة ؟ من الذين يُحاكمون أمام المحاكم العسكرية وهم مدنيون ؟ .
- بل من الذين يُعدون لمجرد المشاركة الوطنية في قضايا الأمة، بالقوانين المكبلة للحريات ؟ أو يُمنعون لمجرد تقديم النجدة في مواجهة الأخطار والكوارث والسيول والأوبئة ؟.

الطريق إلى التحرر

لذلك كان من منهج الإخوان المسلمين الدعوة إلى تحرير الأمة، وهو ما سنظل نأبئن عليه، داعين إليه، عاملين على تحقيقه، وهو المدون علي يد المؤسس الإمام البنا في قوله : " تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً، والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية " .

والطريق إلى هذا التحرر يبدأ من الفرد، بتحرير العقل والروح معاً، فينتحر من الجهل والخوف والرذيلة والجوع والمرض والمهانة، وهو ما يعنى فيه الايمان ليبدد اليأس، ويرسخ الأمل، وبهذه القوة الروحية نستطيع أن نسلك خطوات التحرير، التي لا لبس فيها ولا غموض، (وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(الحج:54)، فالتحرر الذي هو الهداية إلى الصراط المستقيم، يبدأ من تطبيق الإسلام ثم الوحدة ثم نهضة الأمة، ويعتمد على سواعد وجهود أبنائها في كل مكان، فحاجتنا إلى العمل، بانتهى اليوم هي مفتاح المستقبل المأمول، ولا مجال للأقوال أو الكلمات : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة:105)، فليس غير الإسلام يحبي الأمل في نفوس البائسين، ويحيي مفاهيم التحرر والاستقلال والمقاومة، ويقضي على السلبية والانهازية بعينه للإيجابية وروح العمل في النفوس .

فيا أمتنا العربية والإسلامية :

إن لديك إمكانات هائلة، تحتاج إلى من يعيد اكتشافها، وتوجيهها بما يعود عليها بالنفع، ويوم أن يشعر المواطن بأن له قيمة في وطنه، وأن حقه مُصان، وأن كرامته محفوظة، فسوف تنفجر طاقات الإبداع لديه، وسوف يشارك بإيجابية في صنع الحياة، فنحن نريد أوطاناً : يسودها الحق والعدل، ويتحقق فيها الوحدة الوطنية ونبذ العنف والتعصب، وتؤمن بالحرية في الممارسة السياسية، وتتساوى أمام القانون، حيث لا استبداد ولا فساد .

فإن أخطر أنواع الغزو، وأشد صور السلطان الأجنبي، ما كان غزواً إجتماعياً، ويصور الإمام البنا مدى التأثير الذي يقع على الأمة نتيجة الغزو الاجتماعي، فيقول : " نجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح، فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب طويل العمر، قوي الأثر، ولذلك فهو أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف مضاعفة " .

ويا أبناء مصرنا الحبيبة :

ألستم تريدون نهضة مصر ؟ ألستم ترضون الإصلاح لمصر ؟ نرجو أن تكون صرحاء ... وهنالك سنلتقي وسنتفق، وستعلمون أن التحرر هو البوابة لإعادة أمجادنا من الفساد والإفساد والذل والفقر والعطرسة والبطش والهوان، وهذا ما جاء به الإسلام من تعاليم نراها منفذاً لأمتنا، ويراها أهل السلطان الأجنبي أكبر عائق يعترض مطامعهم .

واعلموا أن بوابة التحرر للعرب والمسلمين هي قضية فلسطين، فلن يعود لنا الوجه المشرق أوسترد سابق نهضتنا، إلا حينما نوقف هيمنة المشروع الصهيوني الأمريكي، والممثل في هذا السرطان الصهيوني، حتى تتحرر مقدساتنا، ونستعيد المسجد الأقصى رغم عمليات التخريب والهدم والتهويد .

ويا أبناء هذه الجماعة المباركة :

اجتهدوا لتحقيق حب مصر في نفوس الشعب، وشاركوا في كل ميدان لتروا أروع الأمثلة، في التفاني وإخلاص العمل وعلو روح النجدة، فإن للإخوان سوابق في النجدة والهمة، حينما انتشر وباء الملاريا سنة 1945، وحينما انتشر وباء الكوليرا سنة 1947، وبومها وضع الإمام البنا (70 ألقاً) من الإخوان تحت إمرة المسئولين في وزارة الصحة، رافضاً المكافآت التي رصدتها الحكومة لبلاء الإخوان، ورضي الله عن الإمام البنا وهو يصف الإخوان قائلًا : (نقلبت الحكومات وتغيرت الدولات، وهم يجاهدون مع المجاهدين، ويعملون مع العاملين، منصرفين إلى ميدان مثمر منتج، هو ميدان الأمة وتنبية الشعب) .

فالإخوان يا أبناءها في كل مكان، مع الحركة الوطنية، يمدون أيديهم بالمشاركة، ويسعون إلى توحيد الجهود، لصالح الأوطان ونهضتها وتحريرها، فهم بينون روح الوطنية، ويصلحون أي تعدي على حقوق الشعوب، ويتعاونون على استكمال الحرية في كل قطر من الأقطار الإسلامية، وليس ذلك على سبيل طمأننة الناس، فنحن لم نزعهم، بل على من أفرعهم بالارتقاء في أحضان السلطان الأجنبي أن يطمأنهم، فمن الوثائق الفرنسية المنشورة مؤخراً : (لقد أرفهنا الإخوان المسلمون من كثرة ما أرسلوا إلينا " أي السفارة الفرنسية بالقاهرة " من العرائض التي تندد ببغائنا في الجزائر، وسائر دول شمال أفريقيا) .

فأرسلوا الرسائل، وتكلموا في المحافل، وارفخوا كلمة الحق فوق المنابر، وخاطبوا الفضائيات، وبهذا تنقلون دعوتكم من ميدان الأقوال إلى ميدان الأفعال، فنحن أحرص على مستقبل أوطاننا وحرمتها مع أشد الحرصين عليها، وأخلص في إبقائها على وحدتها مع أقوى المخلصين لها، حتى تتحقق أهدافكم، ما دتم على ذلك ثابتين : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)(النحل:128).

والله أكبر ولله الحمد

القاهرة فى : 13 من صفر 1431هـ الموافق 28 من يناير 2010م